كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

النقد القديم/المرحلة الثالثة

د. جبار عبد ضاحي

المحاضرة الرابعة عشرة

عبد القاهر الجرجاني (471) ونظرية النظم:

Abdul Qaher Al-Jarjani and systems theory

النظم في اللغة هو التأليف وضم شيء الى شيء آخر يقال نظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك ومنه نظمت الشعر ومن المجاز نظم الكلام وهذا نظم حسن ويقال نظم القران أي عباراته التي تشتمل عليها المصاحف صيغة ولغة ومن كل شيء ما تناسقت اجزاءه على نسق واحد ينذر لسان العرب مادة (نظم) فالمعنى اللغوي المشترك اذن هو ظم الشيء الى الشيء وتنسيقه على نسق واحد كحبات اللؤلؤ المنتظمة في سلك.وهذا هو المعنى الذي ذهب اليه عبد القاهر في كتابه(دلائل الاعجاز) فالنظم عنده هو تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض .

النظم اصطلاحا: فقد عرفه عبد القاهر بقوله (أعلم ان ليس النظم إلا ان تضع كلامك الموضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه واصوله وتعرف مناهجه) ويقول ايضا معلوم ان ليس النظم سواء تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض .لقد كانت نظرية النظم ابرز وجوه الاعجاز عند العلماء فان الجدل الذي قام حوله الاعجاز في القرن الرابع الهجري قد اعاد الحياة من جديد الى التفكير البلاغي بمبالغته بين بلاغة العبارة وبلاغة النظم وكان سببا في ظهولر طريقتيين في البحث البلاغي طريقة تتمثل في تفكيك النص لعزل الاساليب التي تعتبر وحدها حاملة للبلاغة وطريقة تعتمد وحدة النص والالتحام الموجود بين اجزاءه ولا يتصور اصحابه بلاغة خارجة عن ذلك.

النظم وعلم المعاني

ترتبط مسائل النحو بعلم المعاني ارتباطا وثيقا ومن هنا قيل ان النظم مجاله النحو البلاغي او البلاغة النحوية .مسائل النحو هي التي يبحثها علم المعاني وقد ساق عبد القاهر امثلة متعددة لجمال التعبير النحوي بالتقديم والتاخير والتعريف والتنكير ومن الامثلة الحديثة عن الفصل والوصل.

بدايات فكرة النظم

لعل اقد اشارة تتحدث عن فكرة النظم وجدت عند ابن المقفع في كتابه (الادب الصغير) وقد اشار من خلاله الى صياغة الكلام(قال فاذا خرج الناس من ان يكون لهم عمل اصيل وان يقولوا قولا بديعا فيعلم الواصفون المخبرون ان احدهم –وان احسن وابلغ- ليس زائدا على ان يكون صاحب خصوص وجد

ياقوتا وزبرجدا ومرجانا فنظمه قلائد وسموطا واكاليل ووضع كل فص موضعه وجمع الى كل لون شبيهه وما يزيد بذلك حسنا فسمي بذلك صائغا رقيقا).

وجاء بعده سيبويه ليتحدث عن معنى النظم وائتلاف الكلام وما يؤدي الى صحته وفساده وحسنه وقبحه في مواضع متفرغة من كتابه :قال هذا باب الاستقامة من الكلام والاحالة فمنه مستقيم حسن ومحال ومستقيم كذب ومستقيم قبيح وما هو محال الكذب . واما المستقيم القبيح فان تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك قد زيد رأيت وكي زيدا يأتيك واشباه هذا. فسيبويه يجعل مدار الكلام على تأليف العبارة وما فيها من حسن او قبح ووضع الالفاظ في غير مواضعها دليل على قبح اللفظ وفساده.

النظم والاعجاز

لقد ربط اغلب علماء البلاغة ومنهم عبد القاهر الاعجاز القراني بالنظم ولذلك رأى ان القران الكريم معجز بنظمه اي توخي معاني النحو واحكامه وقد لخص رأيه وقال في خاتمة كتابه في قوله : ما اظن بك ايها القارئ لكتابنا ان كنت وفيت حقه ان ليس النظم شيئا الا توخي معاني النحو واحكامه ووجوهه وفروقته فيما بين معاني الكلم، واذا ثبت الان ان لا شك ولا مرية في ان ليس النظم شيئا غير توخي معاني النحو واحكامه فيما بين معاني الكلم ثبت من ذلك ان طالب دليل الاعجاز من نظم القران اذا هو لم يطلبه في معاني النحو واحكامه فيما بين معاني الكلم ثبت من ذلك ان طالب دليل الاعجاز القران اذا هو لم يطلبه في معاني النحو واحكامه ووجوهه وفروقه ولم يعلم انها معدنه ومعانيه وموضعه ومكانه انه لا مستنبط له سواها وان لا وجه لطلبه فيما عداها . لقد استطاع عبد القاهر بنظرية النظم ان يكشف عن اعجاز القران ويوضحه وهو مبتكر لهذه النظرية.